وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القران جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله
والمعنى افلا يتفكرون في القران فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل وان ما يكون
من عند غير الله لا يخلو من تناقض واختلاف فلما كان القران ليس فيه تناقض واختلاف فعلم انه من عند قادر لا يقدر
عليه غيره عالم بما لا يعلم سواه قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث
البعوث والسرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويحدثون به قبل ان يحدث
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله هذه الاية واذا جاءهم يعني المنافقين امر من
الامن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة او الخوف يعني القتل والهزيمة اذاعوا به اي افشوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس يقال اذاع السر
واذاع به اذا اشاعه واظهره قال الشاعر اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ولو ردوه يعني الامر الذي
تحدثوا به الى الرسول يعني انهم لم يحدثوا به حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث به ويظهره والى اولي الامر منهم يعني ذوي
العقول والراي والبصر بالامور منهم وهم كبار الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم امراء السرايا والبعوث وانما
قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلهذا قال والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم اي يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها وهم العلماء الذين علموا
ما ينبغي ان يكتم من الامور وما ينبغي ان يذاع منها والنبط الماء الذي يخرج من البير اول ما تحفر واستنباطه استخراجه
فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني والتدبير فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه
المسئلة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الاية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة
ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الاية ولو ان هؤلاء المنافقين والمرجفين ردوا الامر من الامن و
الخوف الى الرسول والى اولي الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم اعلم
بما ينبغي ان يشاع او يكتم قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم
وانزال القران ورحمته بالتوفيق والهداية لاتبعتم الشيطان يعني لبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا اختلف العلماء في هذا
الاستثناء والى ماذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير اذا جاءهم امر من الامن او الخوف
اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الاذاعة من هذه الاية لانهم لم يذيعوا ما علموا
من امر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل هو راجع الى المستنبطين منهم وهو قول الحسن
وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا فعلى هذين القولين في الاية
تقديم وتاخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء
الى ما يليه ويتصل به احسن من صرفه الى الشيء البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا
قليلا منكم وهم قوم امنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال القران مثل زيد بن عمرو بن نفيل
وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادي قوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك نزلت في مواعدة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى
بعد حرب احد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم
فانزل الله هذه الاية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف الا
نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم
وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا
سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الاية

دليل

دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس واعلمهم بامور القتال ومكائده لان الله تعالى امره بالقتال وحده
ولو لم يكن اشجع الناس لما امره بذلك ولهذا اقتدى به ابو بكر الصديق في قتال اهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم
على الخروج الى قتالهم ولو وحده وحرض المؤمنين يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شانهم الا التحريض
فحسب لا التعنيف بهم عسى الله اي لعل الله ان يكف باس الذين كفروا يعني لعل الله ان يمنع باس الكفار وشوكتهم وقد فعل
وذلك ان ابا سفيان بدا له العزم عن القتال فلم يخرج الى الموعد والله اشد باسا اي اغلظ صولة واشد تنكيلا يعني واشد عذابا وعقوبة
من غيره قوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها الشفاعة ماخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان بنفسه شفيعا
لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الاية هي شفاعة
الانسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا او يخلصه من بلاء نزل وقيل هي في الاصلاح بين الناس وقيل معنى الاية من يصير شفعا
لوتر اصحابك فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها اي حظ وافر من اجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته ومن
يشفع شفاعة سيئة قيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقيل اراد بالشفاعة السيئة دعاء
اليهود على المسلمين وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين يكن له كفل اي ضعف وقيل نصيب منها اي من وزرها
وكان الله على كل شيء مقيتا قال ابن عباس يعني مقتدرا ومجازيا والمقيت القادر على الشيء قال الشاعر وذي ضغن كففت النفس عنه
وكنت على اساءته مقيتا يعني قادرا على الاساءة اليه وقيل معناه شاهدا او حفيظا على الاشياء ق عن ابي موسى قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه السائل او طالب حاجة اقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء
وفي رواية كان اذا اتاه طالب حاجة اقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا الحديث قوله عز وجل واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها التحية
تفعلة من حيي واصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا او في الاخرة والتحية ان يقال
حياك الله اي جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد
بهذه الاية يعني اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه باحسن مما سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظ حياك الله لانه اتم واحسن
واكمل لان معنى السلام السلامة من الافات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة
واذا كان في حياته سليما كان اتم واكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام او ردوها يعني او ردوا كما سلم عليكم ان الله كان على كل شيء حسيبا
يعني محاسبا ومجازيا والمعنى ان الله تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله او باحسن منه مجازيا عليه

فصل في فضل السلام

والحث عليه ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرئ
السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله اي الاسلام خير اي خصال الاسلام خير م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام
اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح عن ابي امامة قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشي السلام اخرجه ابن ماجه

فصل في احكام تتعلق

بالسلام وفيه مسائل المسئلة الاولى في كيفية السلام ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى ادم عليه السلام
قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يجيبونك فانه تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك
ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فياتي بضمير الجمع
وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فياتي بواو العطف في قوله وعليكم عن عمران بن الحصين
قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء اخر فقال السلام عليكم
ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون اخرجه الترمذي
وابو داود وقال الترمذي حديث حسن وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيد ورحمة الله واذا

Copyright © King Saud University